

مصير لبنان الرسالة في

صراع الحرية مع الخوف

لبنان في ذاكرتي سحر المغامرة وجرأة اقتحام المجهول سعياً لبناء حياة كريمة في الأفق البعيد بعد أن عزّ بناءها في ربوع الوطن المضغوط دائماً بين فكي كماشة منذ أقدم العصور. أتذكر قصة اليسار التي ضاقت بها آفاق مدينة صور المضغوطة بين فكي كماشة الفراعنة من جهة والفرس من جهة أخرى فغادرت وبنّت قرطاجة منارة للحرية والرفاهية وأفقاً مفتوحاً يستطيع الإنسان فيه أن يحقق إنسانيته في التطور والارتقاء والخلق والابداع، بين أحضان مجتمع عادل حرّ مستقل محصن بقوته السياسية والاقتصادية.

لبنان في مخيلتي قدسية الأرز الذي يريك كل لحظة ترنو إليه أنك ابن حضارة ضاربة في أعماق القدم عمرها آلاف السنوات. تقرأ كل يوم في الصحف والمجلات وعلى شاشات التلفزة عشرات العبارات التي تقول لك لبنان بجناحيه المسلم والمسيحي، التعايش المشترك بين الإسلام والمسيحية. وترنو الى أرز الباروك وبشري فتضحك وتضحك من هذه السخافات المسطحة، تسمع شجرات الأرز تقول لك نحن بنات حضارة تجذرت ونمت وأثمرت قبل أن تولد المسيحية وقبل أن يولد الإسلام فما بال أولئك الناس لا يرون ولا يسمعون.

لبنان في مخيلتي قدسية الصنوبر والسنديان بمرّه ولبانه وأريج بخوره في محيط صحراوي أجذبت فيه الأرض قبل أن تجذب العقول والعواطف وتحجرت فيه الأرض قبل أن تتحجر التقاليد والطقوس. ولا زال هذا المحيط يتفنن في تصحير ذاته، فمن وأد لمفهوم العدالة بعد تفشي الظلم منذ مئات السنين ولا زال، الى صلب مفهوم الحرية حيث العقل الفردي قد علّق على صليب العقل الجمعي، واستقلالية الفرد قد ذبحت بسكين مفهوم القطيع.

الحرب العالمية الأولى ثم الثانية ناضلت شعوبنا العربية ضد الاستعمار الغربي الذي كرسه إتفاقية سايكس بيكو ودفعت دماً غزيراً من أجل الاستقلال والتحرر وبناء الدولة القومية، فماذا كانت النتيجة؟ الظلم الذي كان مستشرياً إبان الاستعمارين

الفرنسي والانكليزي ازداد عتواً في ظلّ الدولة الوطنية حتى بات الناس يترحمون على أيام الاستعمار. الجزائر التي دفعت مليون شهيد من أجل طرد المستعمر وبناء الدولة الوطنية المستقلة ها هم أبناؤها اليوم يقطعون رؤوس بعضهم بالفؤوس تحت شعارات وايدولوجيات كلها كاذبة والحقيقة فقط هي الصراع على السلطة والمال. وما يقال عن الجزائر حصل أبشع منه في غزة والعراق واليمن والآن تعود الدائرة الى نقطة بيكارها لتكتمل عنفاً وحقداً وتخلفاً في سوريا

أما الحرية فحدث ولا حرج انقلبت الدولة الوطنية الى سلطة مخابرات وأصبح الانسان يعيش تحت مظلة الخوف المتواصل فهو متهم حتى يثبت العكس. ومن يخالف توجهات السلطة فهو عميل وخائن وتصفيته واجب وطني وجهاد في سبيل الله والحقيقة. الدولة الوطنية في العالم العربي طولاً وعرضاً هي دولة القائد الواحد والفكر الواحد والقرار الواحد والحزب الواحد، فرحم الله زمان الاستعمار لأن الدولة الوطنية في واقع الأمر أعادتنا الى مفاهيم عصر المماليك والعصر العثماني وكأن لا جديد تحت وجه الشمس

سألني أحد الأصدقاء ما هي الكلمة المضادة لكلمة محبة فقلت له الخوف ولا شيء إلا الخوف

المحبة تآلف وتناغم وحوار ومصالح مشتركة ومعاناة مشتركة ونضال من أجل مستقبل أفضل

المحبة تطور وارتقاء وخلق وإبداع وانفتاح وحدائفة

المحبة عدالة وعطاء وفرح جماعي وعمل بعقلية الفريق وولاء للمركز لا للشخص. أما الخوف فهو توقف العقل عن العمل وتفجر لبركان الانفعالات، الخوف هو تقوقع وانكماش وباطنية وكراهية الانسان لنفسه وللآخرين، وتعددي الانسان على نفسه وعلى الآخرين

الخوف هو مصادرة العقول والحريات والكرامات

إنه ديكتاتوريات تولد أصوليات وحقد يولد تعصب وفقر يولد انتقام ونزعة تدميرية
للنفس وللآخرين وكراهية للنور واستنقاع في الظلام

كمال يوسف سري الدين